مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

منظمة أوبك في عالم متغير

أنشو سيريبورابو

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

منظمة أوبك في عالم متغير

أنشو سيريبورابو *

لطالما انتقد القادة الغربيون قدرة أوبك على رفع أسعار النفط، وتستمر أوبك بالتأثير على السوق العالمية حتى مع ارتفاع إنتاج النفط الأمريكي، ودخول الطاقات البديلة الى الحلبة.

ملخص

- منظمة البلدان المصدِّرة للنفط (أوبك) هي مجموعة من البلدان الغنية بالنفط التي تسيطر مجتمعة على ما يقرب من 40% من إمدادات النفط العالمية.
- تسبَّبت حرب روسيا على أوكرانيا في ارتفاع أسعار النفط العالمية، ممَّا أعطى أوبك المزيد من القوة.
- ومع تحوِّل العالم بعيداً عن الوقود الأحفوري، يمكن أن تتضاءل قوة أوبك.

منظمة البلدان المصدرة للبترول (أوبك) عبارة عن كتلة من ثلاث عشرة دولة غنية بالنفط، تمتدُّ عبر منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. تسيطر المجموعة على ما يقرب من 40% من إنتاج النفط العالمي. سمح هذا الوضع المهيمن في السوق في بعض الأحيان لأوبك بالعمل كاتحاد احتكاري، وتنسيق مستويات الإنتاج بين الأعضاء للتلاعب بأسعار النفط العالمية. نتيجة لذلك، انتقد رؤساء الولايات المتحدة من «جيرالد فورد» إلى «دونالد ترامب» سوق النفط الاحتكاري بوصفه تهديداً للاقتصاد الأمريكي.

برزت عديد من التحديات لنفوذ أوبك –في السنوات الأخيرة– بما في ذلك الانقسامات داخل أعضائها، وظهور الولايات المتحدة بوصفها مصدراً رئيساً للنفط، والتحوُّل العالمي إلى مصادر طاقة أنظف. تكيَّفت الكتلة عن طريق تشكيل ما يسمَّى بتحالف «أوبك+» مع روسيا ودول أخرى، لكن الاضطرابات الناجمة عن جائحة COVID-19– قوَّضت تلك الجهود. أعادت حرب روسيا على أوكرانيا في عام 2022، والارتفاع الناتج عن ذلك في أسعار النفط العالمية تركيز الانتباه على أوبك.

* كاتب، ومحرِّر اقتصادي في مجلس العلاقات الخارجية.

ولادة أوبك

أُسِّست منظمة أوبك في عام 1960 من قبل (إيران، والعراق، والكويت، والمملكة العربية السعودية، وفنزويلا «التي توسعت وتقلَّصت عضويتها على مر السنين»). سعى الخمسة الأصليون إلى بناء جبهة موحدة للرد على تخفيضات أسعار النفط التي فرضتها شركات النفط متعددة الجنسيات التي كانت تسيطر على معظم واردات النفط إلى الدول الغربية، فضلاً عن الحدود القصوى للواردات الحكومية الأمريكية التي أدَّت إلى انخفاض أسعار النفط الأجنبي في الخمسينيات. لم يشرع الأعضاء المؤسِّسون لمنظمة أوبك في التفاوض على الأسعار العالمية المعلنة للنفط فحسب، بل سعوا أيضاً إلى سيطرة أكبر على مواردهم عن طريق تأميم امتيازات شركات النفط الدولية. تمتلك معظم دول أوبك بالوقت الحالي احتياطاتها النفطية بالكامل.

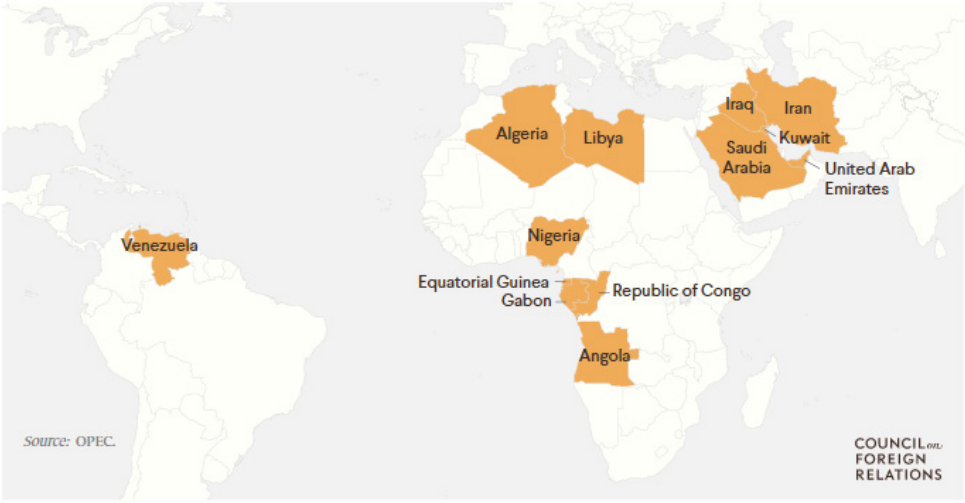

أعضاء أوبك، 2022

تنسِّق الدول الأعضاء السياسات بشأن أسعار النفط، ومستويات الإنتاج في اجتماعات منتظمة وطارئة في جميع أنحاء العالم، غالباً في مقرِّها في فيينا. وعادة ما يترأس الوفود وزراء النفط من كل دول الأعضاء، والأمين العام المعيَّن من قبل الأعضاء، والمكلَّف بالإدارة اليومية للمنظمة.

عصر السيطرة والنفوذ

اقتحمت أوبك المسرح العالمي بقوة عام 1973. وفي أواخر ذلك العام، شنَّت مصر وسوريا هجوماً مفاجئاً ضد إسرائيل، وكان رد الولايات المتحدة بحزمة مساعدات عسكرية بقيمة (2.2) مليار دولار للإسرائيليين. وقامت أوبك بقيادة وزراء النفط العرب –ورداً على الأخير– بفرض حظر على الولايات المتحدة، وعدد قليل من الحلفاء الآخرين لإسرائيل وبدأت في خفض الإنتاج. أُصِيب المستهلكون بالذعر وتدهورت الأسواق. وقام الرئيس الأمريكي «ريتشارد نيكسون» بوضع ضوابط على أسعار البنزين، ممَّا أدَّى إلى تفاقم الوضع، والذي بدوره أنتج طوابيراً طويلةً على محطات الوقود. بدأ وزير الخارجية «هنري كيسنجر» على عجل في التفاوض على إنهاء الحرب وفك حظر أوبك.

استفادت أوبك –في البداية– استفادةً كبيرة. إذ تضاعفت عائدات النفط لأعضائها من عام 1972 إلى عام 1977، إلى أكثر من ستة أضعاف، من (23) مليار دولار إلى (140) مليار دولار. وفي الوقت فسه، تسبَّب ارتفاع أسعار النفط بركود اقتصادي في الغرب. انخفض الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة بنسبة 6% من 1973 إلى 1975، في حين تضاعف معدَّل البطالة. كما كتبت زميلة مجلس العلاقات الخارجية السابقة «آمي مايرز جافي» والخبير الاقتصادي «إدوارد مورس» أنَّ الحظر الذي فرضته أوبك «رُحِّبَ به في ذلك الوقت بوصفه أول انتصار كبير لقوى (العالم الثالث) الذي أخضع الغرب وجعله يجثو على ركبتيه».

كانت أوبك في السبعينيات مصدر إلهام وخوف على حدٍّ سواء؛ بسبب قدرتها على إيذاء الاقتصاد الغربي، وهي سمعة تمسَّكت بها حتى مع الأحداث التي دارت على مدار عشرات السنين، والتي أثَّرت على ثقلها في السوق. يوضِّح «جيف دي كولجان» من جامعة براون أنَّ «أوبك تديم الخرافة القائلة بأنَّها تدير سوق النفط العالمية بانتظام. هذه السمعة تعني أنَّ أعضاءَها يتلَّقون اهتماماً دبلوماسياً أكثر ممَّا كانوا سيتلقونه لو لم يكونوا أعضاءً فيها».

الخلافات الداخلية

تضاءَل نفوذ أوبك بسبب انقسامات داخلية. بعضها كان مدفوعاً من الصراعات الإقليمية على السلطة. وقد اختلف بعضهم الآخر فيما بينهم؛ بسبب الاختلافات في الرأي حول الإستراتيجية والأسعار المستهدفة للاتحاد الاحتكاري.

اتسمت مؤتمرات أوبك في الثمانينيات بخلافات قسَّمت الأعضاء على مجموعتين، واللتين يمكن الرمز إليهما بالمصطلحين الاقتصاديين «الحمامة» و»الصقر»، فالمجموعة الأولى «الحمامة» كانت تتضمَّن الذين دفعوا اتجاه زيادة الإنتاج وخفض الأسعار، والتي قابلها مجموعة «الصقر» والتي أرادت العكس، إذ كانتِ الدول الأعضاء في الأخيرة ذات الكثافة السكانية العالية والميزانيات المتوترة. كانت مجموعة «الحمامة» تاريخياً، هي الدول الأكثر ثراءً في منظمة أوبك، والتي هي على استعداد لتحمُّل انخفاض الأسعار إذا ساعدها ذلك في الحفاظ على مركزها المهيمن في أسواق النفط، وهي: (المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والكويت) في حين شملت مجموعة «الصقر» إيران في الثمانينيات، والعراق تحت السيطرة صدام حسين وليبيا.

ازدادت سياسات الاتحاد الاحتكاري في السنوات الأخيرة تعقيداً؛ بسبب الميزانيات المتضخِّمة في بعض الدول الأعضاء الثرية، ممَّا أدَّى إلى ارتفاع سعر التعادل للنفط، أو السعر الذي تظلُّ عنده قادرة على الوفاء بالديون.

تنتقل الخلافات بين أعضاء أوبك في بعض الأحيان إلى صراعات. فعلى سبيل المثال، خاضت إيران والعراق حرباً استمرت ثمان سنوات أدَّت إلى مقتل مئات الآلاف. في حين اتهمت إيران جيرانها العرب بخفض أسعار النفط انخفاضاً مصطنعاً لمساعدة العراق، فإنَّ العراق وإيران لم يتركا أوبك، التي ظلت محايدة رسمياً.

كانت أسوأ أزمة على الإطلاق في أوبك هي غزو العراق للكويت عام 1990 وَفْقاً لخبير الطاقة «دانييل يرغين». ففي كتابه «الجائزة»، كتب «يرغين» أنَّه لأول مرة أصبحت «السيادة والبقاء الوطني وليس مجرد سعر النفط» على المحك. أزال الغزو أربعة ملايين برميل نفط من السوق العالمية، وتسبَّب في ارتفاع الأسعار. خشيت الدول الأعضاء الأخرى من أن يغزو العراق المملكة العربية السعودية عن قريب وسارعوا للعمل، بدلاً من البقاء على الحياد كما حدث إبَّان الحرب العراقية الإيرانية. فحينما توحَّد التحالف العسكري، زاد معظم أعضاء أوبك الباقين الإنتاج لتعويض فقد الإنتاج من حقول النفط الكويتية والعراقية.

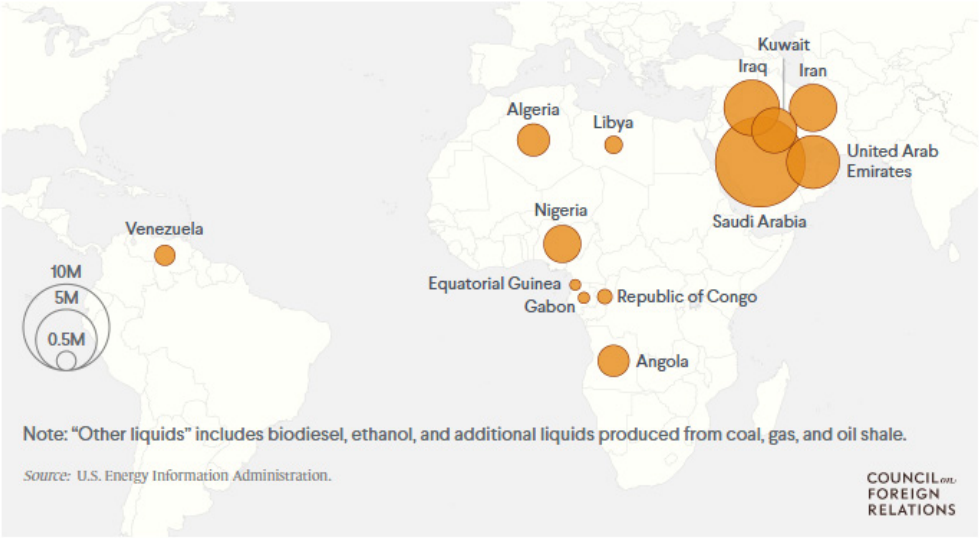

إنتاج النفط لأعضاء أوبك

إنتاج البترول والسوائل الأخرى 2020 (برميل يومياً)

يقول المحلِّلون إنَّ رد الفعل السريع هذا يؤكِّد حقيقة حول أوبك. تحتلُّ المملكة العربية السعودية المرتبة الأولى من بين الدول الأعضاء، فهي تنتج ما يقرب من ثلث إجمالي النفط الخام للمنظمة. لهذا السبب، شجَّعتِ القيادة السعودية إدارة «ترامب» على الانسحاب من اتفاق 2015 بشأن البرنامج النووي الإيراني، وإعادة فرض العقوبات على النفط الإيراني. تُجْرِي إدارة «جو بايدن» محادثاتٍ مع طهران لإحياء الاتفاق النووي ورفع تلك العقوبات.

أثار الإنتاج غير المتكافئ للمملكة العربية السعودية النقاش حول مدى التأثير الحقيقي لأعضاء أوبك الآخرين، فضلاً عن القوة الإجمالية للاتحاد الاحتكاري، لكن أفادتِ الأبحاث الاقتصادية أنَّ أسعار النفط ستكون أقل عموماً إذا لم تكن أوبك موجودة.

التوترات مع الولايات المتحدة

غالباً ما كانت علاقة أوبك بالولايات المتحدة متوترة منذ عام 1973. دعا كلُّ رئيس أمريكي منذ «نيكسون» إلى استقلال الطاقة، مع استمرار الاقتصاديين في مناقشة مزايا مثل هذا

الهدف. يقول المؤيّدون: يُقلِّل الاعتماد الأقل على نفط أوبك من العجز التجاري، ويجعل الاقتصاد الأمريكي أكثر مرونة في مواجهة تقلُّبات أسعار النفط. يقول بعضهم: إنَّه على الأقل سيسمح للولايات المتحدة بتحويل تركيزها بعيداً عن الشرق الأوسط.

ومع ذلك، ما يزال اسم أوبك يُستخدم بوصفه ماكينةً مفيدةً للإحباط. حاول الرئيس «جيمي كارتر» إثارة مخاوف الشعب الأمريكي وتذكيرهم بما فعلته في السبعينيات؛ ليحفِّزهم على خفض استهلاكهم من الوقود. كان «ترامب» أوضح، إذ وصف أوبك بأنَّها «مُحتكرة»، وطالبها بخفض الأسعار —وهو ما امتنع عنه عديد من الرؤساء الذين ينظرون إلى أنَّ انخفاض أسعار البنزين كنوع من التخفيض الضريبي للسائقين الأمريكيين. فضلاً عن ذلك، فقد هدَّد «الكونجرس» بالسماح لدعاوى قضائية «ضد الاحتكار» ضد منظمة أوبك والدول الأعضاء فيها. كما ألقى الرئيس «بايدن» باللوم على أوبك؛ لعدم زيادة الإنتاج بالسرعة الكافية استجابةً لارتفاع أسعار النفط التي ساهمت في تضخُّم قياسي في الولايات المتحدة.

أمَّا أعضاء أوبك الذين يرون المنظمة على أنَّها بمنزلة نادٍ سياسيٍّ أكثر من أنَّها اتحاد احتكاري اقتصادي، فإنَّ وصف الولايات المتحدة لأوبك بـ«الفزَّاعة» يخدم غرضاً. وهو يحافظ على أسطورة أهمية أوبك، ويبقي الدبلوماسيِّين الغربيِّين وصنَّاع السياسة مركِّزين عليها.

تحدِّي إيجاد البديل

ينظر معظم أعضاء أوبك إلى ارتفاع أسعار النفط على أنَّه نعمة قصيرة الأجل. ومع ذلك، يمكن أن تحفِّز هذه الأسعار المرتفعة البلدان المستوردة على الاستثمار في مصادر الوقود البديلة، وهي ديناميكية جارية فعلاً.

يأتي التحدِي الأبرز لأوبك اليوم من النفط المستخرج بطرائق غير تقليدية، مثل: النفط الصخري، الذي أصبح متاحاً عن طريق التطورات التكنولوجية الحديثة. في عام 2009، وبعد مرور ما يقرب من أربعين عاماً من الانخفاض في إنتاج النفط الخام في الولايات المتحدة، ساعد استخراج النفط الصخري والرملي على زيادة الإنتاج. وفي العقد الماضي ارتفع الإنتاج إلى ما يفوق الضعف في الولايات المتحدة.

يبدو أنَّ ثورة النفط الصخري قد فاجأت أوبك. ففي عام 2015، ردَّت أوبك على تقنية التكسير الهيدروليكي عن طريق خفض الأسعار، على افتراض أنَّ إنتاج النفط الصخري لن

يكون مجدياً اقتصادياً. لكن التقنيات الجديدة سمحت للمنتجين الأمريكيين بالاستفادة من النفط الصخري بتكلفة متناقصة، ممَّا دفع الولايات المتحدة إلى أن تصبح أكبر منتج للنفط في العالم في السنوات الأخيرة. انخفض الإنتاج في عام 2020، إذ أدَّت تدابير احتواء جائحة «كورونا» إلى خفض الطلب على النفط، لكنَّه انتعش منذ ذلك الحين. مع تعهُّد «بايدن» بحظر عمليات حفر جديدة على الأراضي الفيدرالية، إلا أنَّ إدارته استمرت في الموافقة على التصاريح بوتيرة قياسية.

دخلت أوبك في شراكة مع روسيا وعديد من المصدِّرين الرئيسين الآخرين لتنسيق الإنتاج واستقرار الأسعار لمواجهة ذلك. قاموا بإضفاء الطابع الرسمي على تحالف «أوبك+» الجديد هذا في يوليو/تموز 2019، مع اعتراضات الولايات المتحدة، إذ كانت واشنطن تخشى ازدياد نفوذ موسكو على أسواق النفط العالمية. خلقت الشراكة أيضاً توترات جديدة لحلفاء الولايات المتحدة داخل أوبك، الذين يجدون أنفسهم الآن أمام عروض تنافسية من واشنطن وموسكو.

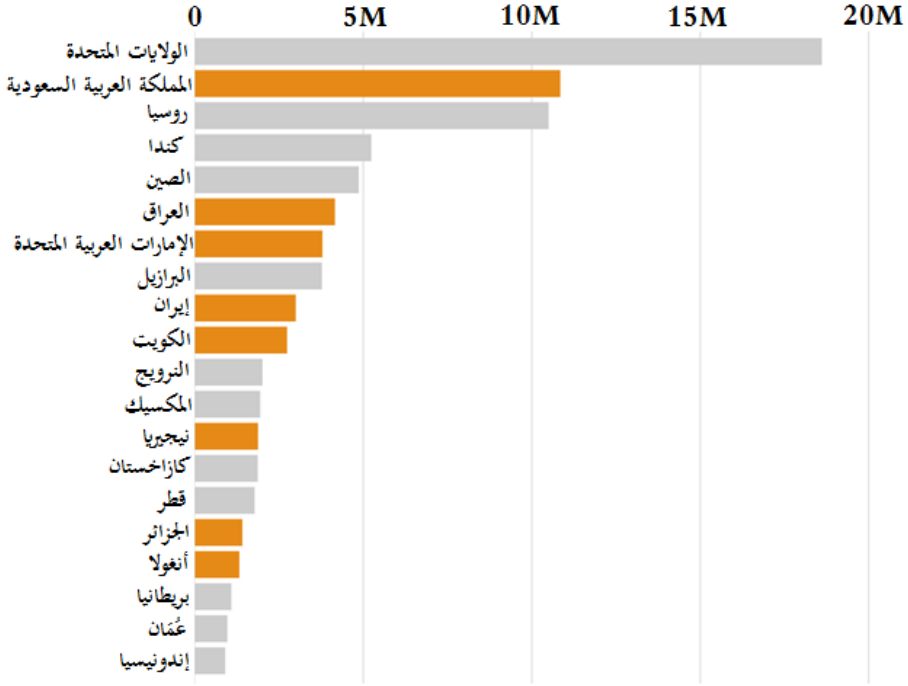

أعضاء منظمة البلدان المصدرة للنفط أوبك

كبار منتجي النفط

أكبر منتجي البترول والسوائل الأخرى 2020 (برميل في اليوم)

وصل الخلاف بين روسيا والسعودية في الواقع إلى ذروته في بداية الوباء في عام 2020. ودفعت المملكة العربية السعودية أعضاء «أوبك+» لخفض الإنتاج في اجتماع عُقِدَ في فيينا في أوائل آذار/مارس. رفضت روسيا، خشية انخفاض حصتها في السوق وإحباطها من العقوبات الأمريكية التي تستهدف شركة النفط الرائدة «روسنفت». بدأت الرياض حرب أسعار رداً على ذلك، عن طريق زيادة الإنتاج –وهي إستراتيجية استخدمتها بنجاح في الماضي–؛ لإجبار موسكو على العودة إلى طاولة المفاوضات، كما وضَّحت «جافي». أعرب «ترامب» عن قلقه بشأن الضرر الذي قد يلحقه انخفاض أسعار النفط بالصناعة الأمريكية، وتدخَّل وحاول التوسُّط في هدنة، بحلول أوائل أبريل/ نيسان، وافقت دول «أوبك+» مبدئياً على خفض الإنتاج بما يصل إلى (20) مليون برميل يومياً.

يمثل ظهور السيارات الكهربائية التي تعمل بمصادر الطاقة المتجددة –على المدى الطويل– تهديداً وجودياً لأوبك. كتب «جافي، وموريس» أنَّ ارتفاع تكاليف الوقود الأحفوري إلى جانب الدعم الحكومي لمصادر الطاقة المتجددة حفَّز الاستثمارات في هذا القطاع. دعا «بايدن» في الولايات المتحدة إلى استثمارات ضخمة في إنتاج الطاقة النظيفة. ومع احتلال مخاوف تغيُّر المناخ مركز الصدارة في السنوات المقبلة، قد تتعرَّض أوبك لخسارة.

التطلُّع إلى المستقبل

لم تعزِل الاحتياطيات الهائلة من النفط الصخري الأمريكي المستهلكين الأمريكيين تماماً عن تقلُّبات الأسعار التي تسبَّبها أوبك. التغييرات في مستويات الإنتاج في الولايات المتحدة هي نتيجة العشرات من القرارات المستقلة لشركات الطاقة الخاصة، وقد يستغرق الأمر شهوراً قبل أن يشعر المستهلكون بأيٍّ من هذه تعديلات. وهذا يعني أنَّه حينما تكون هناك تغيُّرات مفاجئة في ظروف السوق، يمكن لأوبك أن تكتسب قوة سوقية كبيرة –ولو لمدَّة وجيزة– للتأثير على الأسعار.

أظهرت حرب الأسعار الروسية السعودية لعام 2020 ضعفَ المنتجين الأمريكيين. مع انخفاض سعر النفط إلى أدنى مستوى له منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، فقد زاد من الضغط على الصناعة الأمريكية التي تكافح فعلاً آثار الوباء؛ أعلن منتج واحد رئيس على الأقل للنفط الصخري في الولايات المتحدة «وايتنك بتروليوم» إفلاسه. كما أنَّ أعضاء أوبك الذين يتمتعون بأسعار تعادل مرتفعة نسبياً، مثل الجزائر، هم أيضاً أكثر عرضة لأسعار النفط المنخفضة المستمرة

من روسيا أو المملكة العربية السعودية، اللتين تتمتعان بأسعار تعادل منخفضة واحتياطيات كبيرة من النقد الأجنبي.

أدى الغزو الروسي لأوكرانيا والعقوبات القاسية التي فرضها الغرب رداً على ذلك في عام 2022 إلى ارتفاع أسعار النفط العالمية وتجديد الاهتمام بدور أوبك. أعلن «بايدن» في آذار/مارس من العام نفسه حظر استيراد النفط الروسي، في حين أدلى الاتحاد الأوروبي بأنَّه سيعمل على تقليل اعتماده على الطاقة الروسية. قفزت أسعار النفط العالمية في الوقت نفسه إلى أعلى مستوى لها منذ عام 2008، لأكثر من (130) دولاراً للبرميل من خام برنت، وهو معيار دولي.

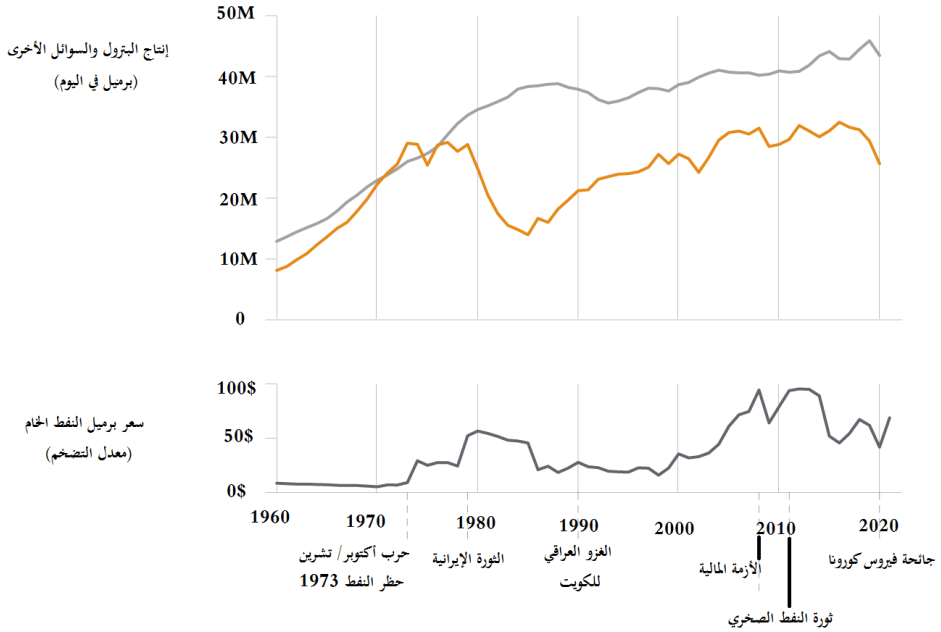

إنتاج البترول وسعر النفط

لذلك، دعا عديد من المشرّعين الجمهوريّين وبعض من الديمقراطيين الولايات المتحدة إلى تكثيف عمليات استخراج النفط الصخري. ومع ذلك، يقول المحلِّلون: إنَّ إنتاج النفط الصخري في الولايات المتحدة –الذي انهار إبَّان انخفاض الأسعار الناجم عن الوباء– سيستغرق شهوراً لتحقيق زيادة كبيرة. يقول بعض الخبراء والسياسيين: إنَّ الزيادات الأخيرة في الأسعار تؤكِّد حاجة الولايات

المتحدة إلى الانتقال بعيداً عن الوقود الأحفوري، والاتجاه نحو أشكال الطاقة المتجددة، لكن هذا سيستغرق وقتاً أيضاً، وقد تضطر الولايات المتحدة إلى اللجوء إلى أوبك من أجل سدِّ احتياجها النفطي. وَوَفْق ما ورد، كان بايدن يفكِّر في زيارة المملكة العربية السعودية، وقام كبار المسؤولين الأمريكيّين في آذار/مارس بأوَّل رحلة إلى فنزويلا منذ أن قطعت واشنطن العلاقات الدبلوماسية مع «كاراكاس» في عام 2019.

ومن المرجَّح أن تستمر الانقسامات داخل أوبك. فعلى سبيل المثال، انسحبت قطر رسمياً من منظمة أوبك في عام 2019، ممَّا يُشير إلى رفضها لهيمنة المملكة العربية السعودية على المنظمة والحصار الذي تقوده السعودية عليها. مع انتهاء الحصار في عام 2021، قالت قطر إنَّها لن تتحرَّك اتجاه الانضمام إلى أوبك. إذا استمرتِ الرياض في اتباع سياسة خارجية أكثر حزماً، فقد يكون من الصعب على الأعضاء أن يظلوا متماسكين. أمَّا أوبك وشريكتها الجديدة روسيا فإنَّ هذا الاحتمال إلى جانب صعود النفط الصخري، وزيادة استقلال الولايات المتحدة في مجال الطاقة، والجهود العالمية للتصدِّي لتغيُّر المناخ، كلها تنذر بمدَّة طويلة من الغموض.

المصدر:

https//:www.cfr.org/backgrounder/opec-changing-world:~:#text=Western20%leaders20%have20%long20%criticized,have20%come20%to20%the20%fore.